المادة : تاريخ البلاد العربية

المرحلة : الثانية

قسم التاريخ

مدرس المادة : د. إنعام حميد شرموط

المحاضرة : الثامنة

الاسرة الثامنة عشر الى الاسرة العشرين

الأسرة الثامنة عشرة في مصر القديمة (١٥٥٠- ١٢٩٢ قبل الميلاد)، أكثر الأسر المصرية القديمة معرفة. كذلك تضم عددًا من أكثر الفراعنة شهرة في مصر، فقد شملت توت عنخ آمون وحتشبسوت وأخناتون وأحمس.

تُشكّل الأسرة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرون فترة الدولة الحديثة من التاريخ المصري القديم.

يشير التأريخ بالكربون المشع إلى أن الأسرة الثامن عشر قد بدأت قبل بضع سنوات من التاريخ التقليدي من ١٥٥٠ قبل الميلاد. تأريخ الكربون المشع لبداية الأسرة هو ١٥٧٠-١٥٤٤ ق.م، وهذا يعني أنها كانت ١٥٥٧ق.م

ابرز حكام هذه الاسرة

حكمت سلالة الفراعنة من الأسرة الثامن عشر لحوالي مائتين وخمسين عامًا (١٥٥٠-١٢٩٨ قبل الميلاد). دفن العديد من الفراعنة في وادي الملوك في طيبة (تعين بحرفي KV). كما أن العديد الزيجات الدبلوماسية للمملكة الجديد. غالبا ما تذكر زيجات بنات الملوك الأجانب فقط في النصوص المسمارية والتي لا تعرف من مصادر أخرى. كانت أن الزيجات على الأرجح وسيلة لتوطيد

الأسرة التاسعة عشرة

كان عهد ملوك الأسرة التاسعة عشرة بداية عصر جديد في تاريخ الأمة المصرية من الوجهتين السياسية والدينية، كما كان كذلك عهد رخاء وإصلاح داخلي من ناحية الإدارة والعمارة، فقد رأينا أن الفرعون «حور محب» آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة قد أعاد للبلاد ديانتها الأصلية، كما استرد لها بعض مكانتها السياسية بإخضاع بلاد النوبة ثانية للحكم المصري، وبالانتصارات التي أحرزها على أقوام البدو و«خيتا» الذين كانوا قد أغاروا على أملاك مصر في سوريا وفلسطين، هذا إلى أنه وطّد أركان السلام في داخلية البلاد بسنِّ القوانين التي أصبحت فيما بعد مضرب الأمثال؛ ومما يؤسف له أن هذا العاهل العظيم لم يكن في مقدوره أن يسترد للبلاد مكانتها الأصلية

في آسيا، وقد ترك ذلك لأخلافه من بعده، غير أنه لم يعقب من يرث الملك من نسله؛ فخلفه أحد قواده. والواقع أن ما لدينا من المصادر التاريخية عن وراثة العرش بعد «حور محب» أحيط بحجاب كثيف من الغموض والإبهام، وبخاصة عندما نعلم أن ما وصل إلينا عن طريق الكتَّاب القدامى من مؤرِّخي العصر اليوناني الإغريقي يتناقض مع ما تستنبطه من الآثار الباقية لنا من هذا العصر؛ ولذلك تعترض المؤرِّخ عندما يتناول درس تاريخ الأسرة التاسعة عشرة مسألتان؛ أولاهما: من أول ملوك هذه الأسرة؟ والثانية: إلى أي بيت يُنسب هذا الملك، وبأي حق استوى على عرش مصر؟

والجواب عن السؤال الأول ينحصر في رأيين؛ أولهما: أن بعض المؤرخين، ومن بينهم الأستاذ «برستد» يظن أن هذه الأسرة تبتدئ بالفرعون «حور محب». والرأي الثاني: ما يزعمه البعض الآخر من المؤرخين، ومن بينهم الأستاذ «أدورد مير»، والأستاذ «فلندرز بتري» من أن «حور محب» كان آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة، وأن أول ملوك الأسرة التاسعة عشرة هو الفرعون «رعمسيس الأول»، وهذا الرأي الأخير هو المرجح وقد اتبعناه. غير أن ما وصل إلينا من التقاليد التي نقلها لنا كتاب الإغريق، وغيرهم لا يتفق مع هذا الرأي.

والواقع أن ما جاء في قائمة «مانيتون»، وما ذُكر في مختصر «أفريكانوس»، ومختصر «يوزيب» يبدو قلقًا عند هذه النقطة، يضاف إلى كل ذلك أن «يوسفس» المؤرخ اليهودي يبتدئ الأسرة التاسعة عشرة بالملك «سيتي الأول». ولا نزاع في أننا إذا نظرنا إلى هذا الموضوع من الوجهة التاريخية ظهر لنا بطبيعة الحال وجوب أن يكون «حور محب» هو الحد الفاصل بين الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة؛ إذ إن الحقيقة لا مراء فيها هي أن نسل الذكور في ملوك الأسرة الثامنة عشرة كان قد انقطع حبله بموت الملك الشاب «توت عنخ آمون»، إذ إنه قُضِيَ دون أن يعقب ذكرًا، ومن أجل ذلك خلفه على عرش الملك الفرعون «آي» أقوى رجل في البلاد وقتئذ، وقد عزز اعتلاءه عرش المُلك زواجه من أرملة «توت عنخ آمون» (راجع الجزء الخامس). وقد خلف «آي» القائد «حور محب» الذي يُعد بلا نزاع الممهد الأول لبناء ملك الأسرة التاسعة عشرة؛ لما قام به من إصلاحات عظيمة، كان الغرض منها إقالة مصر من عثرتها، وإنعاشها من رقدتها، وإنهاضها من كبوتها التي جرَّها عليها «إخناتون» بسوء سياسته داخل البلاد وخارجها. والظاهر أن «حور محب» قد قُضِيَ دون أن يترك خلفًا على عرش الكنانة؛ ويدل ما قام به قبل موته على أنه كان يشعر بذلك قد هيأ الأمور لوزيره وقائد جيشه المسمى «بارعمسيس» ليخلفه على أريكة البلاد وفقًا لسياسة اختطت من قبل، ثم خلف «رعمسيس» هذا بدوره ابنه «سيتي الأول»، ومن ثم تعاقب الملك أخلافه من ظهره قرنًا ونصف قرن من الزمان. ومن بعض المؤرخين «رعمسيس الأول» على رأس ملوك الأسرة التاسعة عشرة، وقد أخذنا بهذا الرأي؛ لأنه على ما يظهر هو الرأي الصواب.

أما الجواب عن المسألة الثانية، وهي البيت الذي يُنسب إليه ملوك هذه الأسرة فنجد الإجابة عنه قد وردت في متن لوحة أربعمائة السنة التي عُثر عليها في «تانيس» (راجع الجزء الرابع)، هذا بالإضافة إلى أن أسماء أعضاء الأسرة المالكة الجديدة قد ركبت تركيبًا مزجيًّا مع اسم الإله «ست» الذي كان يُعبد في «ستوريت»، وهي المقاطعة السادسة عشرة من مقاطعات الوجه البحري، (راجع كتاب أقسام مصر الجغرافية في العهد الفرعوني ص٩٧)؛ مما يدل على أن أسرته نبتت من هذه الجهة.

أما شرعية اعتلاء «رعمسيس الأول» عرش مصر، فليس لدينا حتى الآن براهين معاصرة قاطعة تؤكد لنا هذا الحق، وكل ما لدينا في هذا الصدد بعض احتمالات منطقية يقبلها العقل، وتعززها النقوش إلى حد بعيد، وسنستعرضها هنا ليحكم عليها القارئ بما تستحق من منزلة تاريخية.

(١) «مانيتون» وتواريخ الأسرة التاسعة عشرة

كان المفروض إلى عهد قريب جدًّا أن قائمة الملوك التي خلفها لنا المؤرخ المصري «مانيتون» تبتدئ ملوك الأسرة التاسعة عشرة باسم الملك «سيتي الأول» على حسب قراءة الأستاذ «إدوردمير»، وغيره من فحول المؤرخين في التاريخ القديم، غير أن «إدوردمير» يقول: إن ترتيب «مانيتون» للجزء الأول من ملوك هذه الأسرة يعتوره ارتباك بالغ، وخلط في الحقائق، إذا وازنا ما جاء فيها بما بقي لنا على الآثار، يضاف إلى ذلك أن المؤرخين الذين نقلوا عن «مانيتون» وبخاصة «أفريكانوس»، و«يوسفس»، ثم «يوزيب» قد اختلف بعضهم عن بعض في كتابة أسماء هؤلاء الملوك، وقد بقيت الحال كذلك حتى عام ١٩٢٨م عندما نشر الأستاذ «ستروف»[١] مقالًا؛ الغرض منه موضوع ظهور نجم الشعرى الذي ذكر فيما كتبه «ثيون Theon» الرياضي الإسكندري الأصل. فقد ذكر لنا «ثيون» هذا أن نجم الشعرى بدأ دوره في عهد ملك يُدعى «منوفيس» في عام(١٣٢٢ق.م) ولا بد أن هذا التاريخ يقع في حكم أحد الملوك الثلاثة التالين، وهم؛ «حور محب»، و«رعمسيس الأول»، و«سيتي الأول»، وقد حكم على حسب ما ذكره «بتري»[٢] ما بين عامي (١٣٢٨–١٣٢٢ق.م) وعلى حسب ما ذكره «برستد»[٣] ما بين عامي (١٣٢٠–١٣١٥ق.م).

وإذا نظر الإنسان نظرة سطحية وجد للمرة الأولى عدم التجانس اللفظي بين أسماء هؤلاء الملوك وبين اسم «منوفيس»، ولكن لا بد أن نذكر هنا أن اسم «سيتي» العلم الكامل هو «سيتي مرنبتاح»، وأن الجزء الأخير من هذا الاسم — وهو«مرنبتاح» — يمكن أن يعادل الاسم «منوفيس» على حسب النطق اليوناني، كما ذكر لنا ذلك الأثري «لبسيوس». يضاف إلى ذلك أن تاريخ حكم «سيتي الأول» يتفق على وجه التقريب مع عام (١٣٢٢ق.م) الذي ذكره لنا «ثيون»، وأن حذف كلمة «سيتي» من الاسم كان يحدث أحيانًا في تاريخ هذا الفرعون، كما يمكن تفسيره بسهولة؛ وذلك أن المصادر التي استقى منها «ثيون» معلوماته كان قد حذف منها كلمة «سيتي» التي تدل على اسم الإله الشرير المخيف الذي قتل أخاه «أوزير» الطيب المحبوب، ويعزز ذلك الرأي من جانبنا أن «سيتي» نفسه كان يتحاشى كتابة اسمه بصورة هذا الإله الشقي.

وتدل شواهد الأحوال على أن ملوك البطالمة كان يعز عليهم أن يذكروا أحد أسلافهم المبجلين باسم مُشين مرذول؛ ولذلك فضلوا إسقاط الجزء الأول من الاسم وهو الممقوت، واكتفوا بالدلالة على هذا الملك بالجزء الثاني من اسمه العلم، وهو«مرنبتاح»، وهو ما يقابل في الإغريقية «منوفيس». ويمكن الاعتراض على ذلك من ناحية أخرى بأن قائمة «مانيتون» لا تحتوي على اسم «ستوس» الذي قال عنه كل من فحص هذه القائمة من مؤرخي اليونان أنه يقابل اسم «سيتي الأول». ولكن طالعنا الأستاذ «ستروف» ببحث حاول فيه أن يثبت خطأ توحيد هذين الاسمين؛ وأن ذلك قد نتج عن غلطة ارتكبها النُّسَّاخ الذي نقل عن «مانيتون»، يدل على ذلك أن «يوسفس» الذي اقتبس عن «مانيتون» في كتابه (Contra Apion I, 15.) لم يوحد اسم «سيتي» باسم «ستوس»، بل إن الوقائع التي ذكرها «يوسفس» لا يمكن أن تُنسب إلا لـ «رعمسيس الثاني»؛ من أجل ذلك يعتقد «ستروف» أن اسم «ستوس» ليس إلا تحريفًا لاسم «سوس» الذي يمكن توحيده باسم «سسي»، وهو الاسم المحبب الذي كان ينادَى به الفرعون «رعمسيس الثاني». فإذا كان الرأي الذي جاء به «ستروف» مقبولًا فإن رواية «مانيتون» عن الأسرة التاسعة عشرة تصبح مفهومة لا خلط ولا ارتباك فيها، وتتفق مع الحقائق المعاصرة،

والواقع أن قائمة ملوك هذه الأسرة ـــ كما ذكرها «مانيتون» ـــ لا تحتوي إلا على ثمانية ملوك، في حين أنه وُجد على الآثار تسعة ملوك كانوا حكام هذه الأسرة، والملك الذي لم يأتِ ذكره في قائمة «مانيتون» هو «سيتي الثاني مرنبتاح». وقد فسر ذلك «ستروف» بأنه قد سقط من قائمة «مانيتون» إهمالًا من الناسخ، ويقول: إنه من المحتمل حدوث ذلك بسبب حذف كلمة «سيتي» من اسم «سيتي مرنبتاح»؛ وبذلك أصبح موحدًا باسم «مرنبتاح» الذي سبقه في ترتيب القائمة. والحقيقة الهامة التي يمكن استخلاصها إذا وحدنا اسم «منوفيس» باسم «سيتي الأول» هي أنه يصبح في استطاعتنا تحديد عهد هذا الفرعون بعام (١٣١٨ق.م) تقريبًا، كما يرجح ذلك ظهور نجم الشعرى في اليوم الأول من السنة الجديدة، على أن كل ما ذكرنا هنا لا يتعدى حد نظرية مقبولة في ذاتها وحسب.

الأسرة المصرية العشرون

الأسرة العشرون في **مصر القديمة**، كثير ما تجمع مع الأسرة التاسعة عشر تحت مسمى الدولة الحديثة. تعتبر هي آخر أسرات الدولة الحديثة، وتلتها الفترة الإنتقطية الثالثة. أسسها ست ناختي إلا حتى أبرز ملوكها كان رمسيس الثالث الذي إقتدى برمسيس الثاني في حكمه.

فراعنة الأسرة العشرين

حكم فراعنة الأسرة العشرين لنحو ١٢٠ سنة: من حوالي ١١٨٧ حتى ١٠٦٤ ق.م.. الكثير من الفراعنة مدفونين في وادي الملوك في طيبة (موسومة KV). يمكن العثور على المزيد من المعلومات في مسقط مشروع رسم خرائط طيبة.

الأحداث

قام الملك ست ناختي (١١٩٠ - ١١٨٧ ق.م) تحت حماية الإله آمون بوضع حد للقلاقل والاضطرابات التي انغمست فيها الأسرة التاسعة عشرة، مؤسساً السلالة الملكية الثانية المعروفة باسم الرعامسة. ثم توالى بعد هذا الملك سبعة ملوك آخرون يحملون اسم "رمسيس".

ونحت جميع ملوك هذه الأسرة مقابرهم في وادي الملوك بطيبة (وإن كنا لم نستدل بعد على مقبرة رمسيس الثامن). أما العاصمة الشمالية بي رمسيس التي كثيراً ما كان الملك رمسيس الثالث يتردد عليها، فإن أقدم مخلفاتها الأثرية ترجع إلى عصر الملك رمسيس الثامن، وقد أدى تناقص منسوب مياه الفرع الشرقي للدلتا إلى سقوط هذه العاصمة فيما بعد. وعلى أية حال يظهر حتى الرعامسة الأواخر قد فضلوا اتخاذ هذه العاصمة الشمالية مقراً لهم دون طيبة.

عمل رمسيس الثالث (١١٨٧ - ١١٥٦ ق.م) ابن ست ناختي بعد توليه الحكم على انقاذ مصر من هجمات الليبيين وغزوات شعوب البحر، واحتفظ ببعض المواقع في الأراضي الكنعانية. كما سار هذا الملك بصورة واضحة ومباشرة على نهج رمسيس الثاني، غير أنه شدد من تأثير الوازع الأخلاقي وتنمية مصادر ثروة الإله آمون.

ولكن هذا التألق الخاطف لم يستمر إلى حكم الملك الورع المتدين رمسيس الرابع (١١٥٦ - ١١٥٠ ق.م) ثم سادت بعد ذلك فترة طويلة من الانهيار والتدهور طوال ثلاثة أرباع قرن من الزمان، وأصيبت كافة أنحاء الشرق الأدنى بنوع من عدم الاستقرار المناخي، أدى إلى وقوعها فريسة لإضرابات، وتنازع العبرانيون والفلسطينيون على احتلال فلسطين ، وقام الآراميون بغزوسوريا وبدأت الإمبراطوريتان الآشورية والبابلية تعانيان من الانهيار والاضمحلال. أما مصر التي كانت لاتزال تفرض سيطرتها على السودان، فقد تقلص نفوذها من جهة آسيا، ولم تضع قدميها في سيناء بعد موت رمسيس السادس. كما ضعفت أوجه الأنشطة في تشييد المعابد، ونقشت ألقاب الملوك الرعامسة فوق المساحات الخالية الموجودة أصلا في الزخارف القائمة من قبل، ونحتت بعض التماثيل الرئيقة لرمسيس السادس والتاسع. وفي آخر المطاف، أي خلال حكم رمسيس الحادي عشر، استأنف العمل في معبد خنسوبالكرنك. ومن حسن الحظ حتى البرديات والشقافات التي عثر عليها في دير المدينة، حيث كان يقيم العمال المكلفون بنحت وزخرفة المقابر الملكية، والعثور على الملفات الطيبية المتعلقة بالكثير من التحقيقات القضائية والنصوص التي هجرها كبار كهنة آمون بالكرنك قد أوضحت لنا جميع تلك المصادر الأحوال التي كانت سائدة في تلك الفترة التي كانت الإرادة السياسية والدور الشعائري للملك تبدوان فيها بشكل مبهم غير واضح في الجنوب، بخلاف قرارات ومبادرات كبار الكهنة في طيبة. ومنذ بداية حكم رمسيس الثالث ظهرت بعض الصعوبات المعيشية (كالإضرابات)، والاضطرابات التي عكرت صفوالنظام العام (كتلك المؤامرات التي حيكت في البلاط الملكي وبعض الإنقلابات العسكرية)، وأخيرا تمكن الليبيون من غزوالشمال وإشاعة القلق بالجنوب. ومما يذكر حتى هؤلاء الليبيين كانوا ينحدرون من سلالة أسرى حرب ثم تحولوا إلى جنود، أوكانوا من القادين الجدد الذين اندفعوا هربا من الصحاري بسبب المجاعات.

سرقة المقابر

وفي منطقة طيبة استطاعت إحدى العائلات حتى تهيمن طوال عدة أجيال على إدارة الكهنوت والتراث الخاص بآمون، وتملكت هذه الطبقة الكهنوتية السلطات الدنيوية والدينية وعملت على أعطى جذور الثقافة الروحية، كما أكدت على استقلالها ومكانتها، وفي عهد الملك رمسيس التاسع كان كبير الكهنة ويسمى أمنحتب هوالحاكم الحقيقي لطيبة، وفي فترة حكم نفس ذلك الملك ظهرت أيضا مشكلات في توزيع الحنطة (غذاء العمال) أدت إلى حدوث إضرابات جديدة، وانتشرت أعمال السلب والنهب داخل المقابر حتى تلك الخاصة بكبار الآلهة والملوك المتوفي. كما تجددت المجاعات واغتصاب المقابر، وعزل كبير الكهنة أمنحتب.

تراجع الأسرة

وظهر الليبيون وبدأ التدخل العسكري من جانب نائب الملك في النوبة، الذي توغل في قتاله حتى منطقة مصر الوسطى، بالإضافة إلى هجمات جيوش البرابرة . وازدادت الأمور سوءا في ظل حكم الملك رمسيس الحادي عشر (١٠٩٨ - ١٠٦٩ ق.م) وفي العام التاسع عشر سادت فترة سميت بعصر "تجديد الولادة" (وحم مسوت) متوازية مع الحكم الملكي، وأعربت عن نهضة النظام الكوني (بدلا من استبدال النظام العائلي) وبعديا عن رمسيس الضعيف المستقر في الشمال تمكن كبار كهنة طيبة، وقائد المرتزقة المعين حديثا المدعو(حريحور)، ثم بيعنخ من السيطرة على زمام الأمور في مصر العليا تحت شعار "وسيط آمون". وبقدوم سمندس مؤسس الأسرة الواحدة والعشرين المقبلة، احتلت تانيس مكانة "بي رمسيس". وبذلك ساعدت نهاية الدولة الحديثة على نموبذور فترة الانتنطق الثالثة متمثلة في اضمحلال وجود الفرعون المعنوي، وتعزيز مكانة الإله آمون رع الخالق الأعظم بصفته منبع الحكم، وسيد مصائر الخلق

وتشكيل السلطتين الطموحتين السابقتين: سلطة كهنة آمون، وسلطة الزعماء الليبيين الذين كانوا يسيرون في طريق التحضر والتمصير.